

في الاجتماع اللغوي

اللهجات المحلية

للدكتور علي عبد الواحد وافي

مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة نواذ الأول

تقضى القوانين الخاضع لها تطور اللغات أن تختلف اللهجات في الأمة الواحدة تبعاً لاختلاف أقاليمها وما يحيط بكل إقليم منها من ظروف وما يمتاز به من خصائص . وقد جرت العادة أن يطلق على هذا النوع من اللهجات اسم اللهجات المحلية *Dialectes locaux* ويختلف هذه اللهجات بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً في المساحة التي يشغلها كل منها : فمنها ما يشغل مقاطعة كاملة من مقاطعات الدولة ؛ ومنها ما تضيق منطقتها فلا يشمل إلا بضعة قرى متقاربة ؛ ومنها ما يكون وسطاً بين هذا وذاك . وكثيراً ما تختلف هذه المناطق اللغوية في حدودها عن المناطق المصطلح عليها في التقسيم الإداري والسياسي . فقد تقسم القرى التي تتألف منها منطقة لغوية

أحمد أمين يمثل صورة الرجل المسئول ، والرجل المسئول مسكين مسكين مسكين ، هو مسئول أمام أهله وأبناؤه وأصدقائه وأعدائه، وهو مسئول أمام تلاميذه بكلية الآداب، وقد كفت عنه قلبي منذ اليوم الذي عُيِّن فيه عميداً لكلية الآداب، لأن للنض من عميد تلك الكلية خروجٌ على ملها في عنق من عمود ومواتين ومعنى ذلك أنني أحب أن يقرأ طلبة السنة للتوجيهية كتاب « فيض الخاطر » بتدبير وإيمان ، لأنه حقاً وصدقاً كتابٌ نفيس ، ولأنه صورة لرجل كريم لم يأخذ عليه خصومه غير هتافات لا تقض من أقدار الرجال ، ومن الدليل على كمال الرجولة أن يكون فيها ما يعاب ، لأن الرجولة الحق مزاج من الرشد والهدى والضلال

ثم ماذا ؟ ثم أنتقل إلى كتاب « وحى الرسالة » يمثل هذا الأسلوب من الصدق في تشريح أغراض المؤلفين ، وأنا أرجو أن يُقبل طلبة السنة للتوجيهية على هذه المؤلفات بشغف وشوق ، ليكونوا برعاية الله أنصاراً أوفياء للأدب الحديث .

زكي مبارك

واحدة بين مديرتين أو أكثر ؛ وقد يجتمع في مديرية واحدة أو مركز واحد عدد كبير من المناطق اللغوية . ولدينا نحن المصريين على ذلك شواهد كثيرة في مختلف أقاليم الصعيد والوجه البحري وتعمل كل لهجة من اللهجات المحلية على الاحتفاظ بشخصيتها وكيانها ، فلا تدخر وسماً في محاربة عوامل الابتداء والتغيير في داخل منطقتها ، ولا تألو جهداً في درء ما يوجه إليها من خارجها من هجمات . فاللغة نظام اجتماعي ، وكل نظام اجتماعي يحمل في طيه قوة المقاومة والقهر ، على حد تعبير العلامة دوركايم Durkheim

أما محاربة عوامل الابتداء في داخل منطقتها فتم بفضل العلاقات الوثيقة التي تربط اللغويين بها بعضهم ببعض وتربطهم ببعضهم وبمجتبئهم . وذلك أنه بقوة هذه العلاقات يقوى الضمير الجلي ، وتؤكد سيطرة النظم الاجتماعية ، ويعظم نفوذها ، ويشدد بطشها بالمتدين . فكل محاولة فردية للخروج على النظام اللغوي تلقى في مجتمع كهذا مقاومة عنيفة تكفل القضاء عليها في مهدها . وبذلك تبقى اللهجة ما عسى أن يوجه إليها في داخل منطقتها من محاولات الابتداء وعوامل التغيير

وأما حمايتها من اللهجات المجاورة لها فيرجع الفضل فيها إلى ضعف الصلات التي تربط أهلها بجوارهم ، وقلة فرص احتكاكهم بهم ، وما يبدونه في المادة من نزوع إلى العزلة والاستقلال . ويظهر هذا على الأخص في البيئات الزراعية التي تقل فيها وسائل المواصلات ، وتضعف حركة انتقال الأفراد ، ويكاد سكان كل منطقة يعيشون في منزل عن سكان المناطق الأخرى . حقاً إن تزوج بعض الرجال في هذه البيئات إلى نساء من غير مناطقهم ، وهجرة بعض الأفراد من بلادهم إلى البلاد المجاورة لها ، كل ذلك وما إليه يجلب إلى البلد عناصر أجنبية عنه . ولكن قلة عدد من يتغذى من الأجانب عن هذه الطرق وما شاكلها وانتهاءهم في الأصل إلى مناطق لغوية مختلفة، ودخولهم للبلد فرادى وفي أزمنة متباعدة ، وعدم وجود رابطة تربطهم بعضهم ببعض ، وإقامة كل منهم بين مجموعة من الناس تختلف لهجة أفرادها عن لهجته ، وما يديه أهل المنطقة حيال لهجاتهم من سخرة وازدراء ، وصعوبة فهم حديثهم أحياناً ، كل ذلك وما إليه لا يحول دون تأثر لهجة البلاد بلهجاتهم لحسب ، بل من شأنه كذلك أن يجعلهم هم على محاكاة لسان المنطقة التي يقيمون فيها . وأما البيئات التجارية والصناعية والساحلية التي يكثر

من التأثير بطريقة المدينة ، اللهم إلا في الكلمات التي تقتبسها منها
أما إذا كانت الفوارق كبيرة بين أهل المنطقتين في ناحية
من النواحي السابق ذكرها ، فإن التأثير يكون عميقاً لدرجة
نصل أحياناً إلى القضاء على اللهجة الغالبة . ويحدث هذا في حالتين :
الحالة الأولى : أن تكون إحدى المنطقتين خاضعة لسلطان
المنطقة الأخرى ، ففي هذه الحالة يكتب للنصر للهجة المنطقة ذات
السلطان ، على شريطة ألا تقل عن المنطقة الأخرى حضارة
وتقافة وآداباً . والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ القديم
والحديث . فلهجة باريس حيث كان مقر الحكومة والسلطان ،
قد قضت على كثير من لهجات المقاطعات الفرنسية التي خضعت
لنفوذ باريس ؛ وكذلك فعلت لهجة لندن مع عدد كبير من
اللهجات الإنجليزية الأخرى ، ولهجة مدريد مع اللهجات الإسبانية ،
ولهجة روما في المصور القديمة مع أحوالها الإيطالية ؛ ولهجة قرطش
قبيل الإسلام مع اللهجات المضرية الأخرى وهم جرا . . .
الحالة الثانية : أن تفوق إحدى المنطقتين المنطقة الأخرى
في ثقافتها وحضارتها وآداب لغتها ، ففي هذه الحالة يكتب للنصر
لهجتها وإن لم يكن لها سلطان سياسي على المنطقة الأخرى .
ولذلك أخذت اللهجة للحكومية بألمانيا تطارد اللهجات الألمانية
الأخرى منذ القرن السادس عشر الميلادي ، أي قبل أن تتكون
الدولة الألمانية الحديثة وقبل أن تظهر غلبة برلين^(١) . وأخذت
للتوسكانية Toscan بإيطاليا تفهم اللهجات الإيطالية الأخرى
منذ القرن الرابع عشر الميلادي ، أي قبل أن تتكون الدولة
الإيطالية الحديثة ، وقبل أن يظهر سلطان روما^(٢) ؛ وذلك
بفضل ما كان لكل من السكونية والتوسكانية من إنتاج أدبي
لا يذكر بجانبه إنتاج أخواتها التي اشتبكت معها في هذا الصراع
وفي كلتا الحالتين السابقتين يختلف الصراع في مدته وعنقه
تبعاً لمبلغ قرب اللهجتين إحداهما من الأخرى ومبلغ ثقافة المنطقة
الغالبة . فيطول أمده ويشتد عنفه كلما كثرت وجوه الخلف بين
اللهجتين أو قلت ثقافة الناطقين باللهجة المهيمنة . فلهجة مدريد
لم تقو بعد على التغلب على كثير من اللهجات الإسبانية الأخرى
ولا تزال إلى الآن تلقى مقاومة عنيفة من جانبها ، وذلك لتفشي
الجهل والامية بين الناطقين بهذه اللهجات ، ولهذا السبب نفسه

(١) على أن برلين لم تكن مهد السكونية ، بل انتقلت إليها كما انتقلت
إلى غيرها (٢) على أن روما لم تكن مهد الإيطالية الحديثة ، بل
انتقلت إليها كما انتقلت إلى غيرها

في المادة احتكاك أهلها بشيرم ، فيرجع الفضل في حماية لهجاتها
إلى قلة عدد الأجانب بالنسبة إلى سكانها الأصليين ، وانتمائهم
إلى مناطق لغوية مختلفة ، وعدم وجود رابطة تربطهم بعضهم
ببعض ، وقصر مدة إقامتهم ، لأن معظمهم يقد إلى البلد
في شئون لا تقتضيه إلا إقامة ساعات أو أيام
غير أنه قد يتاح أحياناً للهجة محلية فرص للاحتكاك الدائم
بلهجة أخرى . وحينئذ تشتبك اللهجتان في صراع أهل لا يختلف
كثيراً في مظهره وطرقه عن الصراع الذي ينشب بين لغتين
مختلفتين والذي عالجناه في مقالات سابقة في الرسالة^(١)

وينتهي هذا الصراع إلى إحدى نتيجتين : فأحياناً لا تكاد
إحدى اللهجتين تؤثر في الأخرى ، وذلك إذا تساوى أهل
المنطقتين في الثقافة والقوة والنفوذ . وأحياناً تكون إحداهما
عرضة للتأثر بالأخرى ، وذلك إذا كانت أقل منها في مظهر
من المظاهر السابقة . وتختلف درجة التأثير باختلاف الأحوال :
فأحياناً يكون يسيراً لا يتال إلا بعض مظاهر ، وأحياناً يكون
عميقاً ينتهي بالقضاء على اللهجة الغالبة

فيكون يسيراً إذا لم تكن للفوارق كبيرة بين أهل المنطقتين
في الثقافة والنفوذ والسلطان . ويبدو هذا في تأثر لهجة القرى
بلهجة المدينة التي تجاورها أو يكون بها مقر المديرية أو المركز ،
أو في تأثرها باللهجة البلد الذي يتخذ مقراً لنقطة البوليس أو للمعدة
أو التي يقام فيها السوق الأسبوعي وهم جرا . في هذه
الحالات وما إليها يقف التأثير عند حد اقتباس الكلمات والتراكيب
وطرق استخدام المفردات في معانيها الحقيقية والمجازية وما إلى
ذلك . أما الأساليب الصوتية وطريقة النطق بالحروف والكلمات
فتظل بمنجاة من التأثير والتحريف . ومن ثم نرى أن القرى المحيطة
بقاعدة مديرية من مديريات القطر المصري قد تقتبس عنها كثيراً
من ألفاظها وتراكيبها ومدلولات مفرداتها ولكن لهجاتها
تظل سليمة فيما يتعلق بالأصوات ، وطريقة النطق بالكلمات .
فالقرى المصرية التي تقلب في لهجاتها القاف العربية (جافا) أي
جيا غير مطشحة (جلنا = قلنا) قد تجاور مثلاً مدينة تختلف
عنها في هذا الأسلوب الصوتي (بأن تقلب فيها القاف العربية حمزة :
أنا = قلنا) ، فتقتبس عنها كثيراً من مفرداتها ، ودلالاتها
وأساليبها ؛ ولكن تظل طريقةها الصوتية حيال القاف العربية بآمن

(١) أنظر أعداد ٣٤٧ و ٣٤٩ و ٤٥١